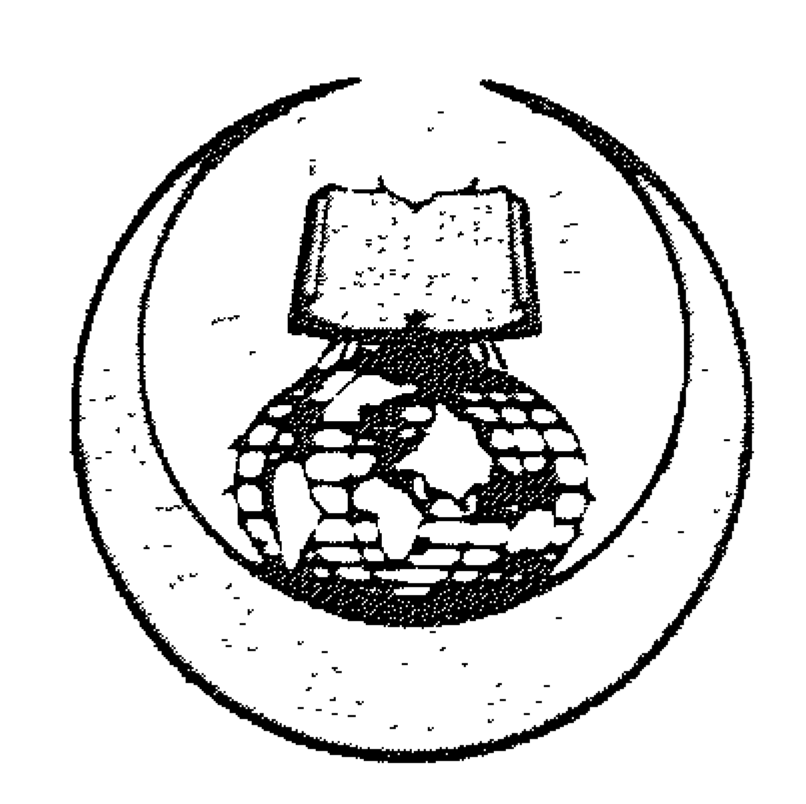
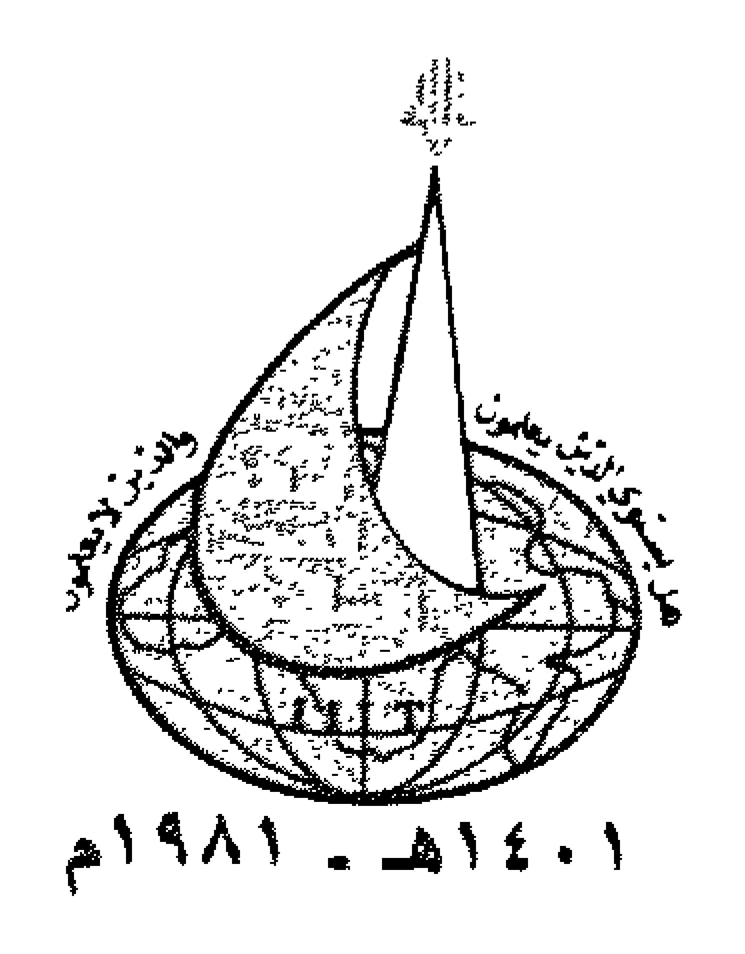




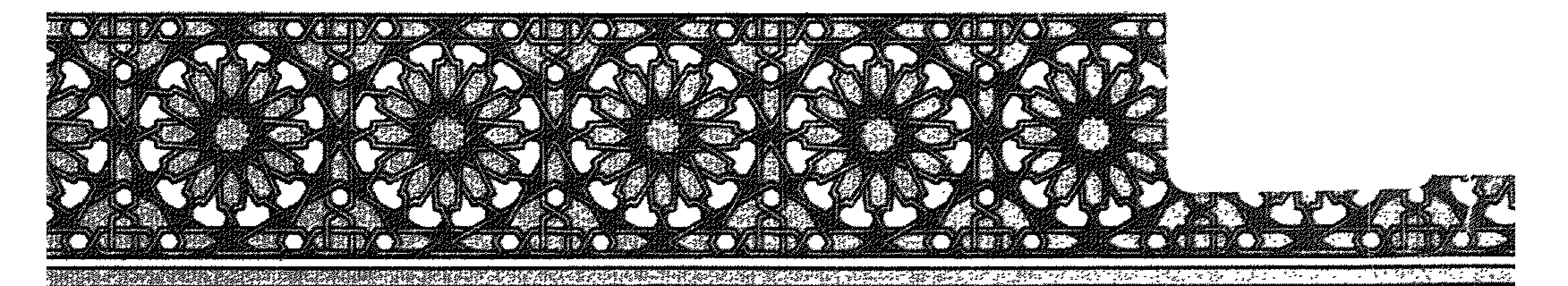
الدار العالمية للكتاب الاسلامي
و
المعهد العالمى للفكر الإسلامى



سلسلة قضايا الفكر الاسلامي (٨)

المسلمون والبديل الحضاري

حيدر عبد الكريم الغدير



حيدر عبد الكريم الغدير

* ولد في دير الزور في سوريا.
* عضو الرابطة العالمية للأدب الإسلامي.
* حصل على الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة عين شمس، القاهرة.
* هاجر إلى المملكة العربية السعودية واكتسب تابعيتها وأقام بها.
* انضم إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض كباحث متفرغ ومسؤول عن إدارة الأبحاث ونشر كثيرًا من المقالات والدراسات في فترة عمله معها.
* انضم إلى المعهد العالمي للفكر الإسلامي باحثًا غير متفرغ وخلال تعاونه مع المعهد أعد هذا البحث.
* له في الشعر والمقالة ، إنتاج جيد نافع استفادت منه كثير من الدوريات العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ

الأنعام: ٦.

المُسْلِمُون
والبَدِيلُ الحَضَارِيّ

حيدر عبد الكريم الغدير

سلسلة قضايا الفكر الاسلامي (٨)

الطبعة الثالثة

١٤١٣هـ ١٩٩٢م

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

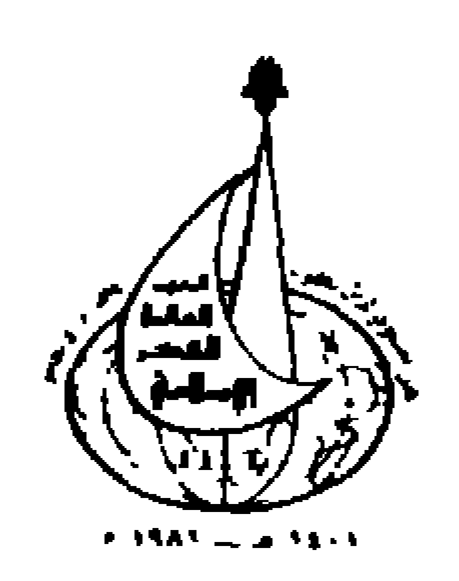
Al Ghadīr, Haydar 'Abd al Karīm
Al Muslimūn wa al badīl al ḥaḍārī/Al Ghadīr, Haydar 'Abd al Karīm.
p. cm. - (*Silsilat Qaḍāyā al Fikr al Islāmī* No. 8)
1. Islam – 20th century – 2. Civilization, Modern – 20th century – Miscellanea. I. Title. II. Series: *Silsilat Qaḍāyā al Fikr al Islāmī*
BP163.A627 1988
ISBN 1-56564-000-4
297-dc Orien Arab 88-22989
CIP

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد تعبر عن
آراء واجتهادات مؤلفيها

نشر وتوزيع



الدار العالمية للكتاب الإسلامي
ص.ب. ٥٥١٩٥ ـ الرياض ١١٥٣٤
هاتف ٤٦٥٠٨١٨ ـ ٤٦٤٧٢١٣ ـ فاكس ٤٦٣٣٤٨٩



المعهد العالمي للفكر الإسلامي
هيرندن ـ فيرجينيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية

المحتويات

مقدمة الطبعة الأولى ٩

مقدمة الطبعة الثانية ١١

الأفول الحضاري ١٥

صيحات الخطر ١٧

ظاهرة الانتحار في الغرب ٢٥

محاولات قاصرة ٣٣

أين البديل ٣٥

المسلمون والبديل الحضاري.. ٤٣

الإهداء

إلى أولئك الباحثين في دياجير الظلام عن قبس من نور ...

إلى الملايين الحيارى من الشباب المسلم الباحث عن حل ،

المنقب عن مخرج من هذه الأزمة الطاحنة ...

إلى الآلاف المؤلفة من المتعلمين والمثقفين

الباحثين عن ثغرة يسدونها في خدمة هذه الأمة ...

إلى أصحاب العقول النيرة والبصائر المستنيرة

نقدم هذه الرؤية وهذه الدراسة

مقـدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على الرسول الحبيب وعلى آله وأصحابه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وبعد:

فهذه ورقة مهمة، توثق بصورة دقيقة صيحات الإنذار التي انطلقت من أبناء الحضارة الغربية ــ بشقيها الرأسمالي والاشتراكي ــ تعلن إفلاس الحضارة المعاصرة، وتحذر في الوقت نفسه من الإسلام.

وهو بحث على لطافة حجمه يحاول أن يصل إلى نتيجة مفادها (أنّ التآكل في حضارة الغرب قد أصبح داء عضالاً مزمنًا ينخر كل يوم في هيكلها الضخم فيقربه من مصيره المحتوم وهو الانهيار الكامل، ليفسح المجال أمام دورة جديدة لحضارة جديدة لعلها تنقذ البشرية وتضعها على منهج قويم للحياة). بالرغم من هذا الاستنتاج الحاسم إلاّ أن البحث يخاطب المسلمين بأن عليهم أن يتذكروا أن الله عز وجل لا يؤتي نصره من لم يكن جديرًا به مسلمًا كان أم غير مسلم.. وأن على المسلمين أن يبذلوا جهدهم ليكونوا جديرين بالاستخلاف والتمكين وذلك طريق شاق طويل لابد لهم من سلوكه، وليس لهم أن يتوهموا أن سقوط حضارة الغرب سيؤدي بالضرورة إلى قيادتهم لركب الحضارة التي سوف تسقط بين أيديهم غنيمة باردة فتلك أحلام الكسالى والعاطلين والواهمين.

إن قصة هذا البحث تعود إلى فصل الربيع من سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ حيث وجهت رابطة الشباب المسلم العربي الدعوة للدكتور طه جابر العلواني رئيس المعهد

العالمي للفكر الإسلامي لإلقاء محاضرة حول «المسلمون والبديل الحضاري». وقد ألقيت المحاضرة في ١٩٨٧/٣/٥م بمخيم مدينة «ألْبَنِي، بولاية نيويورك».

وقد لاقت المحاضرة صدى طيبًا وأبدى كثير من الذين حضروها أو سمعوا عنها رغبة في اقتنائها مكتوبة مطبوعة مع توثيق جميع ما ورد فيها من نصوص.

ونزولاً عند رغبة إخواننا شباب الرابطة وتعميمًا لفائدة هذا البحث وانطلاقًا من توجهات الرابطة في خدمة قضايا الشباب المسلم المعاصر، تم الاتفاق بين رابطة الشباب المسلم العربي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي على التعاون على طباعة هذا البحث ونشر مادته الفكرية التي اشتركت وحدة الأبحاث والدراسات بالمعهد في إعدادها وتجميعها.

وإن الرابطة ليسعدها أن يكون هذا البحث هو أول إصدار مشترك بينها وبين المعهد العالمي للفكر الإسلامي آملين أن تتبعه إصدارات مشتركة أخرى في سائر ما يهم الشباب المسلم العربي من قضايا وموضوعات.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

رابطة الشباب المسلم العربي

اللجنة الثقافية

مقدمة الطبعة الثانية

يطيب للمعهد العالمي للفكر الإسلامي أن يقدم هذا البحث الوجيز الذي يحمل اسم «المسلمون والبديل الحضاري» وهو بحث ربما يدل اسمه على مضمونه. فهو عبارة عن رصد وترتيب لبعض أهم صيحات النذير الحضاري بأفول شمس الحضارة الغربية من أساتذة غربيِّين لا يمكن اتهامهم بالجهل بهذه الحضارة أو عدم معرفة مصادر قوتها من مصادر ضعفها، لقد بين المفكرون الذي أوردت نذرهم بأن الحضارة الغربية حضارة تعاني من مشكلات جذرية لا قبل لها بحلها، مما يجعل الخط البياني لها خطًا يتجه نحو الانحدار، على الرغم من كل الإيجابيات الكبرى التي فيها والتي لا يملك أي منصف إلاّ الإقرار بها.

وذلك يعني أنه لابد من قيادة بديلة لعالم اليوم، وحين ينظر المرء في القوى التي تطرح بديلاً جديدًا ، يجد أنها ليست جديرة بذلك لأسباب منطقيَّة عرض لها البحث وهو يعلق على تلك النذر، ويعيد قراءتها.

وحين ينظر المرء في حال المسلمين، يرى أنهم مع الإقرار بكل سلبياتهم وتناقضاتهم ونقاط ضعفهم، يملكون من القدرات ــ بجميع أشكالها ــ ما يجعل منهم بديلاً جديرًا بقيادة الحضارة المنتظرة وتسديد مسيرتها، إذا استوفوا الشروط الذاتية والموضوعية المطلوبة.

وإذا كان الخط البياني للحضارة الغربية في محصلته النهائية قد صار خطًا يميل إلى الانحدار، فإن الخط البياني للأمة المسلمة في محصلته النهائية خط يمكن أن يميل

إلى الصعود[1]. وهذه نقطة تضاف إلى أخواتها لتشكل القناعة بأن المسلمين يمكن أن يكونوا البديل الحضاري المأمول إذا استوفوا الشروط كذلك.

من تمام الحديث أن نذكر هنا وبإلحاح أمرين في منتهى الأهمية:

الأول: أن سقوط الحضارة الغربية أمر لا يتم بين عشية وضحاها، فالحضارات لا تقوم فجأة ولا تسقط فجأة.

الثاني: أن المسلمين لن يكونوا القيادة الجديدة لركب الحضارة إذا ظلوا على ما هم عليه، فلابد لهم من امتلاك الشروط الموضوعية التي تجعلهم جديرين بذلك، ذلك أن لله عز وجل سننًا ونواميس لا تجامل أحدًا ولا تحابي مخلوقًا ، تصدق على المسلم وغير المسلم.

ومن سعادة المعهد العالمي للفكر الإسلامي أن يصدر هذا البحث بالتعاون مع رابطة الشباب المسلم العربي، مؤملاً أن تكون فاتحة تعاون مستمر وصلة علمية متنامية.

«توضيح لبس»

ونود أن نوضح في تصدير هذه الطبعة نقطة رافقت إصدار هذ الكراس في طبعته الأولى عام ١٩٨٨ حيث حدث لبس نجم عن التسرع في إصدار الكراس لتهيئته لمؤتمر الرابطة في ذلك العام فصدر دون متابعة وتدقيق كافيين من إدارة الطباعة والنشر في المعهد ووضع اسم الدكتور طه جابر العلواني رئيس المعهد عليه كمؤلف للكراس ظنًا من المسئولين عن النشر في المؤسستين الرابطة والمعهد ــ في ذلك الوقت ــ أن الكرّاس يمثل التفريغ المكتوب لشريط محاضرة الدكتور طه جابر التي ألقيت في البني ــ نيويورك في حين أن محاضرته وإن حملت عنوانًا مقاربًا، لكنها قد تناولته

(١) كان هذا التعليق قبل سقوط الماركسية، والتحولات التي جرت في البلدان الشيوعية، وقبل توقف الحرب البعثية الايرانية، وقبل نشوب ما عرف بـ «أزمة الكويت» وإعادة العالم الإسلامي إلى ما يشبه الفترة التي كان عليها في أواخر القرن التاسع عشر أو إلى ما يماثل الفترة التي وقعت فيها اتفاقية «سايكس بيكو» إثر تمزيق الخلافة واقتسام البلاد العربية والإسلامية بين الغانمين الغربيين، أما الآن ففي هذا الكلام نظر!!

بطريقة أخرى وقد تم تفريغها وتصحيحها وسوف تصدر في وقت لاحق بعنوان «المسلمون والشهود الحضاريّ».

أما الكراس بنصه هذا فقد كان المقرر أن يصدر بوصفه حلْقة من سلسلة المطويات، وهي سلسلة كان المعهد قد خطط لإصدارها بخمسين حلْقة تتناول خمسين موضوعًا بشكل مختصر وقد أعد الأستاذ حيدر عبد الكريم الغدير الذي كان واحدًا من مستشاري المعهد والمشرف على هذا المشروع هذه الحلقة بهذا العنوان «المسلمون والبديل الحضاري» على أمل أن يتجاوب الكتّاب المسلمون الذين دعاهم المعهد لكتابة تلك الحلقات ويبدأ إصدارها متتابعة بشكل شهري لتكون مساهمة فعالة في رفع مستوى الوعي لدى أبناء الأمة على أهم القضايا الفكرية والثقافية التي تستلزم درجة من الوعي لابد منها، ولما لم يحصل المعهد من أولئك الكتاب على ما كان يؤمل فقد توقف المشروع، والمعهد حاول أن يقدم بعض البدائل عنه في نشرتيه العربية «أخبار الفكر الإسلامي» والانجليزية «IIIT-AMSS NEWS BULLETIN» وكذلك في سلسلة «رسائل إسلامية المعرفة» التي تصدر في القاهرة.

إن الحقوق الأدبية والمعنوية كالحقوق المادية لابد من حفظها لأهلها ورعايتها، ولذلك فإن المعهد قد سارع بعد اكتشاف ذلك اللبس بسحب الكمية المطبوعة التي لم يجر التصرف بها بعدُ من التداول وأعد هذه الطبعة التي تحمل اسم الأستاذ حيدر عبد الكريم الغدير كمعد لهذا الكراس ومؤلف له ورائده في ذلك توضيح هذه الحقيقة من ناحية، وتصحيح هذا الخطأ من ناحية ثانية، وتذكير الشباب المسلم بالأفكار التي كانت تسود الساحة الإسلامية في عامي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م و ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م للتأكد والأفكار التي تستبد بها في هذه الأيام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م فهل لا يزال من حقنا أن نفكر في أننا بديل حضاري؟.

كما أن الهوة السحيقة التي تردَّت الأمّة الإسلاميّة فيها نتيجة الأزمة أو الكارثة التي بدأت بالحرب التي أرادوا لها أن تكون طائفية بين العراق وإيران وظلّت تفاعلاتها مستمرة حتى أدّت إلى اجتياح البعثيين للكويت الذي أدى إلى احتلال المنطقة، هذه الحالة تجعل التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة الإسلامية ــ الآن ــ أكبر بكثير.

نعم إن الإسلام يصلح أن يكون بديلاً حضاريًا ولابد أن يكون، بل لا بديل عنه؛ إذ البديل عنه ضياع البشرية أو انهيارها.

أما المسلمون فهم موضع التساؤل والحيرة وهم الذين لابد لهم من البحث عن الوسائل التي توصلهم بالإسلام من جديد وتجعلهم قادرين على تمثله كما تمثلوه أول مرة فهل هم فاعلون؟ كيف ومتى؟

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
هيرندن ــ فرجينيا
رجب ١٤١٢هـ / يناير ١٩٩٢م

الأفول الحضاري

الحقيقة التي لا ينكرها منصف أن قيادة العالم اليوم بيد الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي والشيوعي.. حيث يحاول جناحا الحضارة في صراع معلن إثبات أهليتهما لقيادة البشرية من خلال توسعة الرقعة التي تدين بالقيم والمبادئ التي يحاول المعسكران تأصيلها في نفوس الناس، وكذلك توثيق الروابط مع الدول التي تدور في فلكهما وتتفيأ مظلة أحد المعسكرين.

إن الحضارة الغربية بشقيها نمت وأنجبتها رحم واحدة، وهما وجهان لعملة واحدة لأن مجموعة التصورات والقيم والمنطلقات فيهما واحدة.

وموقف الإسلام من تلك الحضارة بوجهيها واحد، لأنها من مشكاة واحدة لا أصل لها في الثبات، لأن الإنسان ـــ بقدراته المحدودة ـــ هو الذي شاد صرح هذه الحضارة بمعزل عن منهج الله عز وجل، ولأن الكوارث التي حلت بالبشرية حين تنكبت جادة الصواب لم تقتصر على واحدة من جناحي هذه الحضارة لتكون برهانًا على صحة مبادىء الأخرى.

هذه الحضارة التي كانت تبدو خلال عقود خالية قوية متماسكة تغفو القلوب إليها، وتفتتن الأنظار بمنجزاتها المادية بدأت تنكشف عن عيوب وأمراض كثيرة وأصبحت عاجزة عن إخفاء آثار التآكل التي شدت إليها أنظار العقلاء من أبناء تلك الحضارة فعلت أصواتهم معلنة أن نجمها يهوي، وأن الحضارة الغربية التي خيل للبعض خلودها آيلة إلى السقوط بعد أن أصبحت تنوء بمشكلات لا قبل لصناع تلك الحضارة بمعالجتها.

لقد نمت شجرة الحضارة الغربية في تربة مادية وكانت أول ثمارها الايجابية هي تقدم العلوم الطبيعية والاختراعات التكنولوجية الذي لم تر البشرية مثله، أمَّا الثمار المسمومة فكانت ذلك الضياع القاتل الذي يحاول أبناء الحضارة المادية الهروب منه

بعد أن عجزت كل الثمار الإيجابية عن تحقيق طموحاتهم، لقد نما العقل وتضخم على حساب الروح التي ضمرت وانكمشت حين عجزت حضارة المادة عن تحقيق أشواقها وطموحاتها.

صحيح أن البشرية أحرزت انتصارات ضخمة في عالم الصحة والعلاج، وحققت مايشبه الخوارق في عالم الصناعة والإنتاج وانتصارات باهرة في كشوف الفضاء والأقمار الصناعية، ولكن ما أثر هذا كله في حياتها النفسية؟ هل أوجدت السعادة والطمأنينة والسلام؟ لقد أوجدت الشقاء والقلق والخوف، لأنها لم تتقدم في تصور أهداف الحياة الإنسانية وغاية الوجود الإنساني في مضمار الحضارة المادية وحسبها الرعب والفزع اللذان تعاني منهما من مثل الرعب النووي أو مرض (الأيدز).

تلك هي الحضارة التي نمت في منبت السوء فأتت ثمارها حنظلاً مرًّا، وهاهي الأصوات اليوم تتعالى من هنا وهناك منذرة بسوء مصير البشرية في ظل حضارة خاوية من الإيمان خواؤها من الروح الإنسانية.

صيحات الخطر

تتعالى الصرخات من أبناء هذه الحضارة الذين أدركوا خطورة إنحدار البشرية إلى الهاوية في ظل معطيات تلك الحضارة متنبئين بسقوطها بعد أن أصبحت على شفا جُرفٍ هار.

فهذا (الكسيس كاريل) في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» يدين الحضارة المادية ويرى أنها وليدة خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم، وأن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد لم تجن منه البشرية سوى القلق والهموم فيقول: «حقيقة الأمر أن مدنيتنا مثل المدنيات التي سبقتها أوجدت أحوالاً معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة، إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية».

ويتساءل عن جدوى الحضارة التي لا تجلب إلاّ الشقاء والتعاسة والانحطاط الخلقي فيقول: «إذ ما جدوى الراحة والفخامة والجمال وأسباب تعقيد حضارتنا إذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة بها فيما يعود علينا بالنفع؟ حقًا انه لمما لا يستحق أي عناء أن نمضي في تجميل طريق حياة تعود علينا بالانحطاط الخلقي، وتؤدي إلى اختفاء أنبل عناصر الأجناس الطيبة».

والمستر (دالاس) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق أشار في كتابه «حرب أم سلام» إلى الخلل القائم في الحضارة الغربية قائلاً: «إن هناك شيئًا ما يسير بشكل خاطىء في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه الحالة النفسية». وهو يرى أن التقدم المادي والمبالغة في وصف معطيات الحضارة الغربية يقابلها الإفلاس الروحي الذي يشكو منه أبناء تلك الحضارة فيقول: «ونستطيع كذلك أن نتحدث ببلاغة عن التقدم المادي الذي حققناه، وعن روائع الإنتاج

الجماعي، وعدد السيارات وأجهزة «الراديو» و «التلفزيون» التي يمتلكها أفراد شعبنا، ولكن المبالغة في وصف الماديات تعطي فكرة بأننا أفلسنا من الناحية الروحية».

ويرى أن الحضارة الغربية قد فقدت بريقها و لم يعد لديها ما تقوله للعالم الذي يبحث عن مخرج من عنق الزجاجة فيقول: «لن تكون هناك فائدة من إنشاء محطات (أصوات امريكا) أخرى عالية الصوت، إلا إذا كان لدينا شيء نقوله يكون أكثر إغراء مما قيل حتى الآن».

إذا كان (كاريل ودالاس) يعلنان عن خيبة البشرية في الحضارة الغربية فإن الفيلسوف الانجليزي الشهير (برتراند رسل) يعلن عن اضطرار الحضارة الغربية إلى إخلاء موقع قيادة البشرية، ونهاية تسلط الرجل الأبيض — ممثل الحضارة الغربية — على مصير البشرية فيقول: «لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض، وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونًا من قوانين الطبيعة وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أيامًا رضية كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون» وليس الرجل الأبيض إلا رمزًا للحضارة الغربية التي بدأ أفول نجمها، ويتحدث (رسل) عن شقاء الإنسان في ظل الحضارة الغربية المادية فيقول: «إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث. واليوم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة»[1].

وهذا (دنيس دورجمون) من غلاة المدافعين عن الشخصية الأوروبية ومن أشد المتفائلين باستمرار الحضارة الغربية إلى الأبد، يشكو من الأصوات التي تعلن عن سقوط حضارته، ويقرر أن القرن العشرين الذي شهد معالم الحضارة الغربية وسلطانها يمتد عبر الكرة الأرضية كلها ويحمل معها شرورها ومنتجاتها ثم في حالات نادرة قيمها ودائمًا تفاهتها، وقد شهد في الوقت نفسه من القائلين بسقوط الحضارة الأوربية والمتنبئين به عددٌ يتضاعف بصورة مستمرة، وما يلفت النظر أن معظم المتنبئين أوربيون وهم بدلاً من أن يتحدثوا بإعجاب عن انتشار العبقرية الأوربية

(١) انظر كتابي الأستاذ سيد قطب (الإسلام ومشكلات الحضارة ١٣٨٨هـ —١٩٦٨م) و (المستقبل لهذا الدين ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م) طبع دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه بيروت ولبنان — توزيع الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

في العالم كله، وأن ينبهوا إلى أهمية هذا الانتشار، يفضلون الحديث عن كسوف الحضارة الأوربية[2]

أما (بول فاليري) الشاعر الفرنسي الذي كان له تأثير كبير في تيارات الفكر الأوربي فقد هتف بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ بعبارته الشهيرة: (فمن الحضارات الأخرى نعرف الآن بأننا ميتون) ثم يضيف (ولندرك الآن أن هوة التاريخ هي من الاتساع بحيث تستوعب العالم كله، نحن نشعر أن في الحضارة من الضعف والتهافت ما في حياة الفرد)[3].

أما (فولني) وهو أحد رجال الفكر الأوربيين فقد ترك وراءه تأملات حول مصير الحضارة الغربية تلتقي مع وجهة نظر (فاليري) ويقول: (ماذا أصاب تلك البدائع الرائعة التي حققتها يد الإنسانية؟ أين هي حصون نينوى، وجدران بابل، وقصور برسيبوليس؟ والمؤسف أنني زرت الأماكن التي كانت مسرحًا لكل هذه العظمة الرائعة ثم لم أر غير الضياع والوحدة. وما يدريني لعل مسافرًا مثلي في المستقبل يجد نفسه عند السين والتايمز يجلس باكيًا فوق بقايا الفتات التي تحولت إليه معالم الحضارة الكبيرة حول هذه الأنهار)[4].

و (هيجل) الفيلسوف الألماني الذي سار الكثيرون على إثره في تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة هو صاحب الفكرة القائلة بأن كل شعب هو (فرد في مسيرة التاريخ) فهو بالتالي خاضع ككل فرد لقوانين النمو والازدهار ثم السقوط الحتمي، على أن (هيجل) في الوقت نفسه كان يظن أن الحضارة الأوربية هي قمة التاريخ التي ليست وراءها قمة، ولو حاولنا أن نطبق نظريته الجدلية في تعاقب الحضارات لأدركنا انها انتهت أو ستنتهي في المستقبل تحت ضغط القوانين الحتمية بما فيها الحضارة الأوربية المعاصرة[5].

أما (كولن ولسون) فيعد كتابه «سقوط الحضارة» كتابًا جريئًا في نقد حضارة

---

(٢) انظر مقالة بعنوان (المتنبئون بالسقوط) للأستاذ رمضان لاوند، نشرت في مجلة البلاغ الكويتية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

الغرب، وهو كتاب يتحدث صاحبه عن هدفه منه قائلاً: «يبدو أن الغرض من هذا الكتاب أن أقول شيئًا عن حاجة هذا العصر إلى دين جديد يلوح في أن الكنيسة قد فقدت كل صلة لها بالمشكلات التي تواجهها فيه».

ويرى (ولسون) أن أية حضارة تصل لحظة أزمتها يومًا ما، وأن الحضارة الغربية قد بلغت هذه اللحظة، وأن هذه الأزمة تهدد بالدمار أو بالسمو إلى أشكال أعلى، والمعروف حتى الآن أنه لم تواجه أي حضارة هذا التحدي إلا وكانت تخفق في مواجهته ، والتاريخ هو دراسة للهياكل العظمية التي خلفتها الحضارات المخفقة، تمامًا كالهياكل العظمية التي خلفتها الحيوانات المنقرضة كالديناصور، ويقرر أن الدين وهو العمود الفقري للحضارة قد تَيَبَّس في الكنيسة[٦].

أما الفيلسوف الأمريكي الشهير (جون ديوي) فإنه يقول: «إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها ولا تثق بقدرة هذا العلم في خلق قيم جديدة تدمر نفسها بنفسها».

وفي سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م أصدر (رينيه دوبو) كتابه (So Human An Animal)، وقد عربه الدكتور نبيل الطويل باسم «إنسانية الإنسان». والمؤلف عالم ومحاضر شهير وحائز على عدة جوائز منها جائزة نوبل، وقد وصفت جريدة (الأوبزرفر) اللندنية الكتاب بأنه (هجوم مدمر على المجتمعات الصناعية الاستهلاكية الحديثة، واعتقادها المحزن بأن السبيل الوحيد للسعادة والغنى الحقيقي مرصوفة بسلسلة من التركيبات الاقتصادية والتقنية). يقول المعرب في مقدمته للطبعة العربية من الكتاب: يوجه البروفيسور (دوبو) أقسى نقد لحضارة الغرب وأعنف هجوم على مجتمعاتها المادية التي يسودها القلق، ويشكو من استعباد التكنولوجيا للإنسان، فالآلة هي (الإله المعبود) في المجتمعات الغربية حيث فقد الإنسان إنسانيته وجافى الفطرة ولوث البيئة وخرب الطبيعة، فاستحكم به التوتر العصبي والاضطرابات النفسية بعدما أضاع إيمانه وفقد روحه.

---

(٦) انظر دراسة عن كتاب كولن ولسون (سقوط الحضارة) في مجلة الأمل التي تصدرها رابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا.

ويضيف قائلاً: لقد عربت الكتاب لأمرين:

أولهما: إيصال بعض مافيه لمدعي الثقافة من المبهورين بالمجتمعات الغربية بجناحيها الرأسمالي والشيوعي، فلقد شهد شاهد من الأهل أن الغرب ضائع زائغ البصر فاقد البصيرة، قال رئيس بلدية (كليفلند) الأمريكية متهكمًا: «إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذي رفع إنسانًا إلى القمر بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات».

وثانيهما: لفت نظر أولي الأمر في العالم العربي حتى لا يخدعوا بموضوع النمو والتنمية، وينجروا دون دراسة معمقة ووعي كافٍ وراء الغربيين في هذا المضمار، فليس كل نمو تقدمًا، والخرافة التي تقول (النمو هو التقدم) ماهي إلا (توراة الدمار) كما سماها (كوردل هل) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق، والتطلع إلى موقف إنساني غير خاضع للتكنولوجيا ليس رجعية ولا انهزامية بل هو موقف وجهد بطولي على حد تعبير (دوبو)[٧].

أما (جيبون) المؤرخ الذي يعد من سدنة الدراسات التاريخية الحديثة فقد تنبأ منذ مائتي عام تقريبًا بانحلال الحضارة الأوروبية وزوالها الحتميين في نهاية القرن العشرين[٨].

أما (الدوس هكسلي) فإنه يقرر أن الإنسان في عصرنا لم يعد يستهلك الأشياء، بل هي التي تستهلكه، وأنه صار عبدًا لعمله، فانحدرت قيمته الإنسانية، وعاش في أجواء القلق. وفي رواية له باسم «جسور في طريق الانهيار» يورد هذه الجملة على لسان أحد شخصياتها «أهدف إلى تكوين وعي مضاد للحضارة المرعبة، أود أن أقوم بعملية حرق وتطهير لها»[٩].

وهناك كتب وأعمال أدبية كثيرة تعرضت لموضوع الحضارة الغربية مثل: «الأماكن المسمومة» لـ «ترومان كابوت» و «المهزلة البشرية» لـ (وليم سارويان) و

---

(٧) إنسانية الإنسان: ترجمة الدكتور نبيل الطويل، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٠م.

(٨) انظر مقالة الأستاذ رمضان لاوند التي سبقت الاشارة اليها.

(٩) انظر (الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري) للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، دولة قطر ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٧م.

«الغزو المجهول» لـ (ميشيل رونالد) و «أوربا بعد المطر» لـ (ألان بوزنسن) و «الساعة الخامسة والعشرين» لـ (كونستانتان جورجيو). وفي هذه الكتب والأعمال الأدبية إدانة للحضارة الغربية، أو اعتراض على جوانب منها أو تنبيه على مخاطر تحيط بها، أو حكم عليها بأنها في طريق الانحلال[10].

أما (فيلا سبازا) فإنه يقول: «إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة ولا خلق ابتسامة واحدة، وليس أجدر من أمم الشرق المحتفظة بالثقافة العربية الإسلامية والقائمة على إذاعتها، بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشؤوم الذي يجرُّ الإنسانية إلى هوة التوحش والتسلط المادي»[11].

وفي مارس ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م نشرت صحيفة (الهيرالدتربيون) مقالاً للطبيبة الأسترالية (هيلين كالديكوت) بعنوان «الوباء الأخير الحاطم» وهذه الطبيبة تعمل مع أطباء آخرين ضد استخدام الأسلحة الذرية. وفي رأيها أن الحروب الذرية لن يكون فيها غالب ولا منتصر، لأن بعض مناطق المعمورة سيتلاشى نهائيًا، وبعضها الآخر سيبقى فيه بعض البشر معرضين لأكبر الأخطار والحروق، وبقاؤهم سيكون أكبر بلية عليهم، وقد أطلقت على الحروب الذرية المحتملة الوقوع (الوباء الأخير الحاطم)[12].

أما (روبرت هي) أستاذ التاريخ في جامعة (ماركيت) في الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يقول: «إن الولايات المتحدة سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن في أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم (أمريكا) الضائعة الأرواح، حيث لا يرتبط الفرد بشيء، فهو يبحث عن هويته، يبحث في العمل، وفي المهنة وفي التقدم الاقتصادي، عن علامة تميزه وتخبره من هو»[13].

---

(١٠) المصدر السابق.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) انظر مقالة للدكتور ماجد عرسان الكيلاني «رسالة المسلم في المجتمع الأمريكي» في مجلة الأمة القطرية، ص٢٧، السنة الثالثة، العدد ٣١، رجب ١٤٠٣هـ ـــ ابريل ١٩٨٣م.

أما القس المعروف (جيري فالْوِلْ) فإنه يقول في كتابه «اسمعي يا أمريكا»: «لَدَيَّ إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق وتدمير الأسرة والإجهاض وجنوح الناشئة والفوضى الجنسية وتعاطي المخدرات وجرائم القتل، إنني أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهدورة بأكداس تفوق الإحصاءات، إن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحي والأخلاقي إن كانت تريد ألا تهلك في القرن العشرين»[١٤].

---

(١٤) المصدر السابق.

ظاهرة الانتحار في الغرب

ولعل الوقوف عند ظاهرة الانتحار في الغرب، يقدم مؤشرًا ذا أهمية خاصة يدل على حال اليأس والإحباط الذي يتردى فيه كثير من المشاهير هناك فضلاً عن العاديين.

ففي سنة ١٩٤٢م انتحر الروائي الكبير (ستيفان زفايج) في البرازيل في إحدى ليالي (الكرنفال) الصاخبة التي تحتفل بها (ريّو دي جانيرو)، إذ تناول السم مع زوجته ، بعد أن كتب في إحدى قصصه الأخيرة: «إن العالم الذي نعيش فيه لم يستطع أن يقدم لنا الشيء الكثير، في الوقت نفسه الذي لن نستطيع فيه المشاركة في تغيير أي شيء، إننا لا نعدو أن نكون مجرد أشباح وذكريات».

وفي سنة ١٩٤٩م انتحر الأديب الألماني (كلاوس مان) ابن الكاتب المشهور (توماس مان) في مدينة (كان) الفرنسية، فكتب والده ينعيه، مذكرًا بصديقه (ستيفان زفايج) وكأنه يتساءل عن سبب انتحار الأدباء، ويعثر على السبب في العزلة الأدبية والفكرية والشعور بالغربة.

وفي سنة ١٩٥٠م انتحر الأديب الايطالي (سينزر بافيزه) في فندق متواضع في مدينة (تورينو) بعد أن وصل إلى قمة الأدب الإيطالي إثر نشر روايته الطويلة «مهنة الحياة» التي تفوح منها رائحة الموت والانتحار.

وفي سنة ١٩٦١م اهتز العالم لانتحار الأديب الأمريكي الشهير (إرنست همنجواي) الذي اختار أن يضع نهاية حياته بيده بعد أن بلغ من الشهرة الأدبية داخل أمريكا وخارجها، ما يجعله في مصاف الأدباء العالميين.

وفي سنة ١٩٧٨م انتحر الكاتب الفرنسي (جان إيمري) الذي التزم طوال حياته بأدب الموت مقتفيًا آثار ملهمه الفكري (هاينريش فون كلايست) الذي انتحر سنة ١٨١١م.

ويمكن أن يعد (جان إيمري) أقدر الكتاب والأدباء الأوربيين في التعبير عن أدب الانتحار الذي أطلق عليه «امتياز الإنسان» وعندما كان طلبته يوجهون إليه سؤالاً ساخرًا عن السبب الذي يجعله يحجم عن الانتحار وهو ألّف كتاب (محاضرات حول الانتحار) كان يجيبهم بقوله: «صبرًا أيها الرفاق صبرًا». وفي يوم افتتاح معرض للكتاب الدولي في مدينة فرانكفورت سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م انتحر (جان ايمري) وطبق على نفسه ما كان يقوله من قبل.

وفي سنة ١٩٨٠م بالغ الشاعر الألماني الدكتور (هانز باير) الذي عرف في أشعاره باسم (ترول) في الاحتفال بانتحاره، فقد عمد في ذكرى ميلاده الحادية والستين، إلى تناول كمية كبيرة من الحبوب المنومة، بعد أن ارتدى حلته الجديدة، ونثر الزهور على سريره الذي استقبل عليه الموت. ولم ينس قبل موته أن يرسل بطاقات نعيه إلى أصدقائه ويكتب فيها: «أصدقائي الأعزاء، لقد استبقت بوفاتي مراسم الدفن السخيفة، ورؤية المشيعين، والجو الزائف المحيط بالجنازة».

وفي سنة ١٩٨٣ دخل خادم الكاتب البريطاني المعروف (آرثر كوستلر) غرفة جلوس سيده فوجده جالسًا على أريكته المفضلة التي كان يطالع فيها، وبجانبه زوجته، وكان الاثنان ميتين بعد أن عمدا إلى الانتحار.

وربطت مجلة (تايم) الأمريكية بين انتحار (كوستلر) وبين كتابته مقدمة دليل صغير عنوانه (مرشد تحرير الذات) أصدرته سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، جمعية بريطانية تضم أكثر من ثمانية آلاف عضو، ويحوي الدليل وصفات عديدة للانتحار. وهذا الدليل الغريب كما تقول المجلة، واحد من أدلة عديدة مشابهة بدأت تنتشر في أوربا وأمريكا بمختلف اللغات مع انتشار جمعيات تشجيع الانتحار التي زاد عددها على ثماني عشر جمعية[١٥].

---

(١٥) انظر مقالاً نشرته مجلة العربي في عددها الصادر في رمضان ١٤٠٣هـ ـــ تموز ١٩٨٣م للدكتور أحمد أبو زيد بعنوان (حوار مع الموت، انتحار آرثر كوستلر) ومقالاً للأستاذ فؤاد دوارة بعنوان (انتحار كاتب صهيوني) في صحيفة الرياض السعودية ١٤٠٣/٧/٢هـ ١٩٨٣/٣/١٥م وتحقيقًا للأستاذ أحمد كمال حمدي بعنوان (لماذا ينتحر الكتاب والأدباء في العالم) في ملحق الأربعاء الذي أصدرته جريدة المدينة السعودية في ١٤٠٣/٨/٦هـ ومقالة للدكتور على النملة بعنوان (المتطيرون ووقفة مع المنتحرون) في صحيفة الجزيرة السعودية ١٤٠٦/٥/١٥هـ ـــ ١٩٨٦/١/٢٥م.

وفي المستخلصات الإحصائية للولايات المتحدة سنة ١٩٨٤م، ورد جدول عن الانتحار في العالم ونسبته بين كل مائة ألف، فاحتلت الدانمرك المرتبة الأولى، ثم النمسا، فألمانيا الغربية، فسويسرا، فالسويد، فاليابان، ففرنسا، فكندا، فبولندا، فالولايات المتحدة الأمريكية.

والملاحظ أن هذه الدول، يعيش الناس في معظمها في مستويات اقتصادية عالية وبعضها يصل في الرخاء إلى درجة الرفاه، ومع ذلك نجد فيها من ينتحرون، وبنسب متزايدة، مما يجعل أي دارس يتساءل بإلحاح: لماذا ينتحرون؟.

ولعل الجميع لا يزالون يذكرون حادثة انتحار قرابة ألف امريكي في إحدى دول أمريكا اللاتينية في أواخر السبعينات، من الشابات والشبان الذين اندفعوا وراء شخص مخبول بحجة استحضار الأرواح وغيرها، وهناك وضع لهم السم، وحمل الجميع أكوابهم ليتجرعوها في وقت واحد. وقد عرض التلفزيون الأمريكي الطائرات الأمريكية، وهي تنقل جثث المنتحرين إلى ذويهم المصعوقين.

وثمة حدث لابد أن يقف عنده كل دارس للمآل الذي تسير نحوه الحضارة الغربية، ذلك أنه غني بالدلالات والدروس. لقد حدث أن انقطعت الكهرباء في مدينة نيويورك مدة طويلة في سنة ١٩٧٧م، فماذا حدث أثناء الظلام حين ضاعت الرقابة وغاب الأمان وعجز رجال البوليس عن أداء مهمتهم؟ لقد حدثت جرائم سطو، وقتل، وعنف، وتخريب، بدرجة تفوق أضعافًا مضاعفة ما يحصل في الأوقات العادية، لقد زال الوازع الخارجي الذي يمنع الناس من الشر، فاتضح جليًا أن الوازع الداخلي ضعيف جدًا، وأن الأدب في التعامل، والصورة الحضارية للتعايش مع الآخرين، أدب كاذب، وصورة زائفة. لقد سقط طلاء الزيف وسقطت القشرة الجميلة الكاذبة، فظهر الوحش الحقيقي في أعماق الناس، فإذا بهم يقتلون ويدمرون ويسرقون، ومنهم من لا يسرق حتى يدمر ما يستطيع تدميره قبل أن يسرق ما يريد سرقته، ومنهم من يمارس لذة تحطيم واجهات المحال التجارية، وإيذاء الجيران.

ولم يتحرج (نيكسون) من أن يعلن في أول خطاب رسمي له بعد انتخابه رئيسًا في أمريكا: «إننا نجد أنفسنا أثرياء في البضائع، ولكن ممزقين في الروح ونصل

بدقة رائعة إلى القمر، وأما على الأرض فنتخبط في متاهات ومتاعب كبيرة»[١٦].

أما (ديجول) رئيس فرنسا الأسبق فقد قال: «إن مجتمعاتنا الأوربية فقدت شيئًا ثمينًا جدًا تحت وطأة تقدمها الضخم، وهو الإنسانية وأعني بها القيم الروحية البشرية العليا، فقد قطعت حضارتنا تلك الصلة المعنوية التي تربط البشر بعضهم ببعض. لقد جف شعورنا وتجمدت قيمنا الأخلاقية وانحلت».

وحين سُئل (ديجول) عن ميله إلى توطيد علاقات بلاده بالعالم العربي الإسلامي أجاب: «اعتقد أن اتصالنا بالمجتمعات العربية والإسلامية التي حافظت على تلك الروح الإنسانية التي فقدناها، سينقذنا من مغبات حضارتنا وسيكون مفيدًا لنا جدًا، ولهذا فإنني أحرص على تحسين علاقات فرنسا وتوثيقها بالعالم العربي والإسلامي».

وقد أعلن (ديجول) في أكثر من مناسبة عن إحساسه بأن الاتحاد السوفياتي ينوء بمشكلات تنخر في جسده، وستنفجر ذات يوم، وأن أمريكا تنوء بمشكلات مماثلة، وتساءل هل يمكن للإسلام أن يقدم العلاج لأدواء الحضارة؟[١٧].

ومن الأصوات المتميزة التي ينبغي الوقوف في ساحتها الفكرية أكثر من المعتاد الفيلسوف الفرنسي المعاصر (جارودي) وهو شخصية سياسية وثقافية شهيرة، لا في بلده فرنسا فقط، بل في الساحة العالمية. عاش هذا الرجل حياة خصيبة غنية، إذ نشأ في المجتمع الفرنسي، فوجد نفسه واحدًا من الذين يدينون بالمسيحية بالإرث والعادة أكثر من القناعة والممارسة لذلك لم يكن غريبًا أن هجر المسيحية، واختار الشيوعية، حيث تبوأ في الحزب الشيوعي الفرنسي مكانة عالية فكريًا وتنظيميًا، وكانت له مؤلفات متداولة بين الشيوعيين، لكنه شيئًا فشيئًا بدأ يعترض على الشيوعيين ودعا في محاضرات له إلى أن تخصب الماركسية فلسفتها بعطاء الأديان عامة، والإسلام خاصة، وإلا تكون قد حكمت على نفسها بالعقم، وقد عرضه ذلك إلى أزمات وعداوات من رفاقه الذين كتب أحدهم كتابًا ضده سماه «فلسفة الردة».

واستمر (جارودي) في بحثه عن الحقيقة ودراسته للإسلام، حتى انكشفت له حقائقه الباهرة، وتلبيته لحاجات البشر، أفرادًا وجماعات، فإذا به يعلن إسلامه سنة

---

(١٦) انظر كتاب الأستاذ الأميري الذي سبقت الاشارة اليه.

(١٧) المصدر السابق.

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وإذا به يتحول إلى ناقد بصير لعيوب الحضارة الغربية، وإلى داعية للإسلام، ومدافع عن قضايا العروبة والإسلام. وإلى مبشر بأن الإسلام هو القادر على إخراج الحضارة من محنتها التي تحياها اليوم. لقد أهدى (ألكسيس كاريل) كتابه «الإنسان ذلك المجهول» إلى «أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية ليدركوا ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية واجتماعية، بل أيضًا ضرورة قلب الحضارة الصناعية، وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري». حقًا إن (جارودي) امتلك الشجاعة الكافية ليعلن إسلامه أولا، وليقرر ثانيًا أن الإسلام هو الذي سينقذ الحضارة كلها، فكأنه (الفكرة الأخرى للتقدم البشري) التي نادى بها (كاريل).

ويحدد (جارودي) المؤشرات التي تنذر البشرية بالدمار في ظل الحضارة الغربية بأربعة هي:

(١) الاقتصاد الذي يسيطر عليه النمو المتمثل في الرغبة الجنونية في زيادة الإنتاج وسرعته، إنتاج أي شيء، نافع أو غير نافع، ضار أو مميت.

(٢) السياسة التي تحكمها علاقات اجتماعية داخلية وخارجية، والتي يسودها العنف المعبر عن صدام المصالح، والنزوع إلى السيطرة بين الأفراد والطبقات والأمم.

(٣) الثقافة العارية من المعنى والغاية، فالتقنية للتقنية، والعلم للعلم، والفن للفن، والحياة لغير هدف.

(٤) العقيدة الخالية من التعالي الذي يمثل البعد الإنساني للإنسان.

ويقول (جارودي) في مقابلة صحفية أجريت معه: «لقد طغت على العالم صناعة الأسلحة، وفي سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م أنفق العالم الغربي ٦٥٠ مليار دولار في التسليح، وهو ما يوازي ٤ أطنان من المتفجرات لكل إنسان على الأرض، وبمعنى آخر اصبح من الممكن لأول مرة في التاريخ محو أي أثر للحياة على الأرض، هذا وفي السنة ذاتها (أي ١٩٨٢م) كان يوجد خمسون مليونًا من البشر في العالم الثالث يعانون من الجوع والأحوال المعيشية المتردية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العالم يسير في طريق ضال دون تفكير في العاقبة. إن القضية هي كيف ننجو بالعالم، كيف نتخلص من حضارة الغرب، كيف نختار الطريق الحكيم حتى يمكن للإنسان أن يعيش بتوافق مع الطبيعة من ناحية، ومع الإنسان الآخر من ناحية ثانية،

ثم بتوافق تام مع الله سبحانه وتعالى، إن الوصول إلى الجواب هو الغرض الرئيسي من حوار الحضارات»[18].

ونشرت صحيفة (نيويورك تايمز) في أعدادها الصادرة خلال شهري شباط وآذار ١٩٨٢م سلسلة من الأبحاث عن انتشار الجريمة وتدمير الأسرة وهروب المراهقين وظهور مرض الهربيز، ومما قالته: «لقد تبين أن المؤسسات الإصلاحية التي تحاول أن تصلح هؤلاء الناشئة ليست إلا مدارس تعلمهم الجريمة، حيث يدرب بعضهم بعضًا على المزيد من أساليب القتل والسرقة وتعاطي المخدرات والجنس. وإن هذه المؤسسات في حَيْرَةٍ من أمرها في هذا الموضوع».

لقد نشرت إحصاءات عن الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة محاولة اغتيال رئيسها (ريجان) جاء فيها أن جريمة قتل واحدة تتم في كل ٢٤ دقيقة، ويجري في كل عشر ثوان اقتحام منزل وسرقة، ويوجد من الأسلحة المعروضة للبيع الحر مسدس لكل أربعة، وتباع قطعة سلاح كل ١٣ ثانية.

ويمسك (جوزيف كاميليري) في كتابه «أزمة الحضارة» المبضع بيده المتحدية الثابتة ليُشرِّح جسد الحضارة الصناعية الغربية وثقافتها، ويكشف عن الأورام القتالة التي تعاني منها، كما يقول الدكتور فيصل السامر مترجم الكتاب إلى العربية. فالتكنولوجيا التي كان يفترض أن تحرر الإنسان من عبودية الأسلوب التقليدي في الاقتصاد، أضحت اليوم سيدة الكائن الإنساني، فالطالب الذي يتوجه إلى المخدرات، والهيبي الراكض بحثًا عن الفردوس الخدّاع ، والمراهق الذي يتصدى لتهشيم النوافذ وتحطيم السيارات، والأفّاق الذي يجد مهربًا في خبل الكحول، كل هؤلاء إنما هم ضحايا مناخ القلق المتغلغل والشعور بعدم الأمان ومرض العصاب، إن خطورة الأزمة القائمة هي أنها ليست موجهة إلى الجانب الروحي للكائن الإنساني فحسب، وإنما لأنها تنخر العلاقات الإنسانية برمتها، فأصبح الكائن الإنساني ضحية اللاتوازن. إن عليه أن يتعامل مع البيئة الطبيعية لأن الماكينة الاقتصادية تدفعه إلى ذلك من أجل

---

(١٨) انظر دراسة عن كتاب جارودي (الإسلام وأزمة الغرب) للأستاذ معالي حمودة في مجلة الأمة القطرية في عددها الصادر في جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ، وقد قام بترجمة الكتاب الى العربية الدكتور رفيق المصري، وانظر عن جارودي ايضاً كتاب الأستاذ الأميري الذي سبقت الإشارة اليه.

المزيد من الإنتاج والاستهلاك لضمان دورانها، ولأنه ضمن هذه المعادلة اللامتوازنة قد فقد إدراكه لدوره الخاص وهدفه في الكون وواجبه تجاه نفسه وبني جنسه وبيئته[١٩].

(١٩) انظر دراسة عن هذا الكتاب في صحيفة الشرق الأوسط (١٤٠٦/٥/٤هـ/ ١٩٨٦/١/١٢م).

محاولات قاصرة

وعلى الرغم من إجماع عدد لا يستهان به من رجال الفكر الأوربي على أن حضارة الغرب في طريق التدهور. لم يتعرض الكثيرون منهم إلى الأسباب التي تضع حدًا لتلك الحضارة المادية العملاقة والسمات المطلوبة للبديل الذي يمكن أن يستلم زمام قيادة الحضارة من جديد.

صحيح أن (أليكس كاريل) كان موفقًا إلى حد بعيد في تشخيص المرض، ولكنه لم يكن ماهرًا في وصف العلاج إنه يكاد يتلمس المنهج الذي يمكن أن ينقذ البشرية ولكن من غير معينه الأصلي، فهو يريد منهجًا يعتبر (الإنسان مقياسًا لكل شيء) ولا يجعله غريبًا في العالم الذي ابتدعه (ولا ينهض على الجهل المطبق بخصائصه ومقوماته). ويريد منهجًا لا ينشيء بيئة (غير صالحة بالنسبة لقوانا ولا بالنسبة لهيئتنا) ولا (يجعلنا ننحط أخلاقيًا وعقليًا) ، ولا يلغي شخصية الفرد من حسابه، ولكنه لا ينسى حاجة الفرد للحياة الجماعية، إنه ينادي بضرورة (قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري) ولكنه يبحث عن منهجه الذي حاذى جوانب الحقيقة لدى الإنسان فيرى أن سبب المأساة هو عدم الاهتمام بعلوم الحياة فيقول: «إنّا ضحايا تأخر علوم الحياة عن علوم الجماد»[٢٠].

أما (دلاس) فكان يبحث عن منهج (لا يقف موقفًا غامضًا من الإيمان وعلاقته بالنشاط الحيوي) ومنهج (لا يفرق بين الدين وممارسة الدين، ولا يحطم الصلة بين الإيمان والعمل، ولا يزعم أن الإيمان لا يتمشى مع الظروف الحديثة). كان يريد منهجًا (يرفض أن يكون للأشياء المادية الأولوية، ويرفض الرفاهية الاقتصادية على حساب الروحية والعقلية). كان (دلاس) يطلب هذا المنهج عند رجال الكنيسة

(٢٠) انظر كتابي سيد قطب اللذين سبقت الإشارة اليهما.

الأمريكية، وعند الزعماء الروحيين في بلده، ويطمع أن يجد عندهم الخلاص[21].

ولكن الذي ينبغي أن يكون واضحًا أنه لا (علم الإنسان) يملك أن يستجيب لصيحة (كاريل) ولا الكنيسة وآباؤها الروحيون يملكون أن يستجيبوا لصيحة (دلاس)[22].

إذا صار عجز الحضارة الغربية عن تحقيق آمال البشرية أمرًا واقعًا، وإذا كانت المناهج الأرضية التي يشير إليها العقلاء والمفكرون من ضحايا الحضارة الغربية تقف مكتوفة الأيدي إزاء الانهيار ووقوع الكارثة، فأين البديل؟

---

(٢١) المصدرين السابقين.

(٢٢) المصدرين السابقين.

أين البديـل ؟

إن الحضارة الغربية بجناحيها (الرأسمالي والماركسي) تستقي من معين واحد هو (الفكر البشري) الذي لم تعد تربطه أية صلة بأسباب السماء، ولا فرق بين أن ترد المستنقع الآسن باليد اليمنى أو اليسرى، فلا يرجى إذن تقديم الحلول لإنقاذ البشرية من أمريكا وروسيا ومن يدور في فلكهما.

ولو تلفتنا نحو الصين ــ باعتبارها واحدة من الدول الكبرى ــ لوجدنا أن الجسور الحمراء التي تصلها بالمعسكر الشرقي بدأت تنهار لتقوم مكانها جسور أخرى تصلها بالعالم الرأسمالي، ومعنى ذلك أنها تذبذبت بين هؤلاء وهؤلاء، ولم تستطع أن تكون نموذجًا جديدًا، يمكن أن يعد بديلاً حضاريًا، أو نواة لبديل حضاري.

أما اليابان فليست لديها أية طموحات قيادية من خلال قيم ومبادىء فكرية، وهي أقرب إلى تمثل قيم الحضارة الغربية المادية التي غدت لعنة على أصحابها، ولعل نشوة التقدم التكنولوجي تشغلها عن التفكير في ارتياد الآفاق العالمية إلا من خلال صادراتها الصناعية التي غزت أسواق الغرب ذاتها.

أما الهند فإنها بالرغم من الإمكانات المتاحة لها لتكون دولة عظمى، فإنها أعجز من أن تكون بديلاً حضاريًا، بسبب العقائد الدينية السلبية والمتخلفة التي تسود معظم أبنائها وبسبب تنافر النسيج البشري الذي يتكون منه شعبها أو بالأحرى مجموعة شعوبها.

لم يبق في الساحة إذن إلاّ المسلمون، ولم يبق من منهج غير الإسلام، لا سيما أن له ماضيًا مشرقًا في تحقيق كل ما عجزت عن تحقيقه مناهج الأرض.

ولكن الغرب لا يريد أن يكون الإسلام المنهج المنقذ، مع أن الصفات التي يطلبها كل من (كاريل ودالاس) في المخلِّص لا تتوافر في أحد إلا في هذا الدين وأن المنهج الذي يصفانه لا يملكه إلا الإسلام من بين سائر المناهج والمذاهب والنظريات التي يعرفها بنو الإنسان.

إذا كان صناع الحضارة الغربية والذين يتفيأون ظلالها أشهروا إفلاسهم وقادوا البشرية إلى الضياع، وإذا كنا ـــ نحن المسلمين ـــ نرى أن الإسلام هو المؤهل الوحيد لتسلم زمام قيادة البشرية فهل هناك من قادة الغرب وساسته ومفكريه الذين تنبأوا بسقوط الحضارة الغربية، من تنبأ بأهلية المسلمين للقيادة أو توقع لهم دورًا مهمًا؟

ربما كان من أهم ما يذكر في هذا المجال ما قاله العالم الروسي (تروجانسوكي) الذي كتب مجموعة مؤلفاته في أعقاب الثورة الصناعية محاولاً تقويمها ومتسائلاً: متى وأين تأتي الثورة العالمية الثالثة؟ مشيرًا بهذا إلى الثورتين العالميتين الفرنسية والشيوعية، وإلى فشلهما في نواح متعددة، وأن العالم في حاجة إلى ثورة قادمة تستطيع أن تصحح من مسارات الحركة الإنسانية، ويجيب (تروجانوسكي) بأن تلك الثورة لن تأتي إلاّ من العالم الإسلامي، وكان ذلك في عام ١٩١٩م.

ولعل من أدق ما كتب وأكثره لعناصر القوّة في الإسلام التي تمكّنه التي تمكنه من بناء قوة عالمية كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) لمؤلفه (باول شمتز) الذي استهدف تبصير بني جنسه بعناصر القوة في الإسلام وتحذيرهم منها. ويقرر (باول شمتز) أن عناصر القوة الأساسية التي يمتلكها المسلمون أربعة:

الأول: الموقع الاستراتيجي الذي يحتله المسلمون في العالم. وهو موقع مهم بشهادة (شمتز)، وبشهادة كثيرين غيره. إن هذا الموقع يحتل مكانة فريدة ظلت على مدار التاريخ مطمعًا لكثير من القادة والفاتحين وبناة الدول والامبراطوريات. ولا ريب أن الرغبة في التحكم في هذا الموقع الفريد كانت أحد الأسباب وراء الحركة الصليبية، والحركة الاستعمارية، والهجمة الصهيونية الآن.

الثاني: النمو البشري لدى المسلمين، وهو نمو يدل على خصوبة كبيرة لدى المسلمين تجعل نسبة تزايدهم تتفوق كثيرًا على نسبة تزايد سواهم، يقول (شمتز): «تشير ظاهرة نمو السكان في أقطار الشرق الإسلامي إلى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلّت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوربية».

ومما يؤكد صحة توقعات (شمتز) في هذا الصدد التزايد الملحوظ في عدد سكان البلاد الإسلامية، مع بقاء دول الغرب محافظة على نسبة سكانها، يضاف إلى

ذلك التباين في نوعية السكان حيث تزداد نسبة الشباب في المجتمع الإسلامي، على العكس من المجتمع الغربي الذي تزداد فيه نسبة الشيوخ ولعل في ذلك إيماءًا لقوة الإسلام وترهل الغرب.

الثالث: الثروات والمواد الخام في بلاد المسلمين، وهي ثروات كبيرة يستطيع بها المسلمون بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية ــ إن لم تفقها ــ وسوف تزداد هذه الثروات في وقت تقل فيه ثروات البلاد الأخرى.

الرابع: الإسلام وهو أهم عناصر القوة في المجتمع الإسلامي وأخطرها، ويصف الإسلام بأنه: «ذلك الدين الذي له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية الوحدة، بعد إزالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلى الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك مسترخصًا في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه. أي قوة وجدانية بعثت هذه الإرادة في العالم الإسلامي، قوة الوحدة الفكرية للإسلام، ووجود الإحساس الحي للدين الإسلامي، فهو ينتصر في كل مكان ينزل فيه الميدان مع الأيديولوجيات الأخرى. إن اتجاه المسلمين نحو مكة موطن الإسلام عامل من أهم العوامل في تقوية وحدة الاتجاه الداخلي بين المسلمين، وأسلوب يضفي على جميع نظم الحياة في المجتمع الإسلامي طابع وصفة التماسك».

ويستخلص المؤلف من ضعف الغرب في تمزقه السياسي، وقوة المسلمين في تمسكهم بالإسلام، عودة المسلمين إلى القوة إن هم أحسنوا استثمار مواردهم الطبيعية وموقعهم الجغرافي في العالم، وإن هُم تعلموا التكنولوجيا كما تعلمها الأوربيون فيقول: «وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئًا من الشرق الإسلامي عودًا على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالمية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الإفادة منها، وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوفر في غيرها من تيارات القوى العالمية. وقد أدرك الكاتب الانجليزي (هيلر بلوك) مدى فاعلية هذه القوة حين أكد أنه لايساوره أدنى شك في أن حضارة ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكًا قويًا، وتحمل

في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون أيضًا خطرًا على أعدائه».

ينذر (شمتز) أوربا محذرًا من خطر القوة النامية الجديدة في الشعوب الإسلامية وداعيًا إلى العمل بحزم لرد خطر هذه القوة ووقف نموها وتزايدها، كي تبقى أوربا ذات سيطرة اقتصادية وسياسية فيقول: «إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوربا يجوب آفاقها، وهنا يدعو إلى التجميع والتساند الأوربي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو ويزيل النوم عن عينيه».

ثم ينصح الأوربيين بأن يقفوا بالمرصاد لنمو عوامل القوة بين المسلمين بطريق أو بآخر إن هم أرادوا الحفاظ على وضعهم الدولي في السياسة والاقتصاد، وليس أمامهم إلاّ أن يتكتلوا تحت شعار (الوحدة الأوربية).

ويرى أنه يمكن للمسلمين أن يتقدموا في العلم والتكنولوجيا، كما تقدم الأوربيّون وهم عندئذ ليسوا في حاجة إلى رباط يجمع شملهم سوى الإسلام، وهو قائم فعلا لم يفقدوه بعد.

وكتاب (شمتز) يمكن أن يكون دعوة إلى المسلمين ليزدادوا إيمانًا بالإسلام وبالتمسك به، إبقاءًا على وجودهم، واحتفاظًا باستقلالهم السياسي والاقتصادي وتشوفًا إلى المركز القيادي الذي يؤهلهم له الإسلام لأن قوة القرآن الكريم في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن، ولم تنجح الأحداث التي مرّت على المسلمين في القرون الأخيرة في زعزعة ثقتهم به كقوة روحية إيجابية[٢٣].

وليس (باول شمتز) وحده هو الذي حذر الغرب من يقظة المسلمين وحرَّض على التصدي للخطر الداهم الذي يهدد الغرب، فهناك لجنة دولية تألفت بأمر (السير هنري كامبل بانرمان) أحد رؤساء الوزارة البريطانية السابقين درست الوسائل المستطاعة لحماية الاستعمار الغربي وتوفير ضمانات البقاء له، وكان الجزء المهم في تقرير اللجنة الذي صدر سنة ١٩٠٧م يقرر أن الخطر الأكبر على الاستعمار يكمن في منطقة (الشرق الأوسط)، فهذه المنطقة مهد الحضارات والديانات، ويسكنها شعب تتوفر له من وحدة تاريخه ولغته ومثله وآماله وثرواته الطبيعية ونزعة أهله إلى

---

(٢٣) الإسلام قوة الغد العالمية.. لباول شمتز ترجمة الدكتور محمد شامة مكتبة وهبة القاهرة (١٩٧٢).

التحرر ما يجعله مؤهلاً للنهوض من جديد وانتزاع قيادة الحضارة البشرية، ولا جدال في أن القوة التي أفزعت لجنة (بانرمان) هي قوة الإسلام، وأن الأمة التي تتوفر لها وحدة اللغة والتاريخ والمثل والآمال هي أمة المسلمين، والديانة التي تدين بها هذه الأمة هي الإسلام.

أما كيفية مواجهة الخطر الذي يهدد المصالح الاستعمارية فكان من بين عناصرها فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي بإقامة حاجز بشري وقوى وغريب، يملأ الجسر البري الواصل بين القارتين، بحيث يشكل في هذه المنطقة وقريبًا من برزخ السويس قوة صديقة للاستعمار الأوربي ومعادية لأهل البلاد. وقد حرص الغرب على تحقيق هذا الاقتراح بكل قوة حيث غرس قوة صديقة للاستعمار الأوربي ومعادية لأهل البلاد وهي (إسرائيل).

ويلجأ بعض ساسة الغرب أحيانًا إلى دعم الاتجاهات التي يعادونها، إذا كان في دعمها ما يضعف من قوة المسلمين أو يعرقل انبعاثهم الحضاري. يقول (إيدن) رئيس الوزراء البريطاني الأسبق في مذكراته: «إن أمريكا في الخمسينات راحت تنفق أموالها على نطاق مسرف لإعانة الشيوعية في (الشرق الأوسط)، وكان غرض أمريكا من نشاطها السياسي والثقافي والعلمي في هذه المنطقة هو تمييع المبادىء والعقائد الروحية والدينية التي يؤمن بها سكان المنطقة»[٢٤].

أما الزعيم الكوبي الشيوعي (كاسترو) فإنه ينصح (إسرائيل) ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعًا إسلاميًا دينيًا، لأن ذلك يجعل منها شعلة من نار الحماس الديني، مما يجعل من المستحيل على (إسرائيل) أن تصون كيانها معه، لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة في المجتمعات الإسلامية، تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية[٢٥].

تلك هي صيحات الإنذار التي تنطلق من أبناء الحضارة الغربية تعلن إفلاس

---

(٢٤) من مقال للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بعنوان (الغد للإسلام) في مجلة منار الإسلام عدد جمادي الآخرة ١٣٩٧هـ والدكتور خفاجي يحيل في هوامش مقاله، هذه الفقرة من كلام الى الصفحة ٣٤٣ من الطبعة الانجليزية من مذكراته.

(٢٥) المصدر السابق.

حضارتهم، وتحذر في الوقت نفسه من الإسلام، ذلك العملاق الذي يفزعهم إن هو استيقظ.

لقد أصبح التآكل في حضارة الغرب داءً عضالا مزمنًا ينخر كل يوم في هيكلها الضخم فيقربه من مصيره المحتوم وهو الانهيار الكامل، ليفسح المجال أمام دورة جديدة لحضارة جديدة لعلها تنقذ البشرية وتضعها على منهج قويم للحياة.

وفكرة (دورة الحضارة) فكرة قال بها كثير من المفكرين منذ القدم ولا يزال هناك من يؤمن بها ويجمع لها الشواهد والأدلة، وخلاصة ما تقرره هذه الفكرة أن لكل حضارة عمرًا قد يطول وقد يقصر، لكن الانهيار هو المصير النهائي لها، حيث لابد أن تموت لتخلي مكانها لحضارة جديدة. وقد شبه العلامة ابن خلدون الدول بالأفراد من حيث النشأة فالشباب فالشيخوخة فالوفاة.

وقد سبقت الإشارة الى ما قاله (فولني) معبرًا عن أساه عما سوف يحل بحضارة ذويه من انهيار كما حل بالحضارات القديمة البائدة.

وهذا السير (هنري كامبل بانرمان) رئيس الوزارة البريطانية الذي ترأس اللجنة الدولية التي سبقت الإشارة إليها يقول: «إن الامبراطوريات تتكون وتنمو وتقوى، ثم تستقر حينا من الدهر، ثم تبدأ طريقها إلى الغروب رويدًا رويدًا. ثم تتلاشى، والتاريخ مليء بهذه الأطوار والأدوار التي انطلقت على شتى الأمم والنهضات دون استثناء). ثم يسأل أعضاء اللجنة قائلاً: «فهل لديكم أسباب ووسائل تجنبنا هذا المصير؟ لقد أصبحت أوربا قارة قديمة استنفذت مواردها، وحالت معالمها، بينما الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية».

أما (توينبي) المؤرخ البريطاني الشهير فإنه يضع القوانين المعقدة لنمو الحضارات ولانحلالها الحتمي بعد ذلك، ويقرر أن الحضارات تسقط في الوقت الذي تكون فيه قوة الإنسان أشد من قوة الدين.

ولقد أدركت الأمم المتحدة فداحة المصير الذي تمضي البشرية إليه، فدعت الى عقد جلسات استثنائية في ١٩٧٤م و ١٩٧٥م، تقرر في نهايتها بالإجماع بعد حوار طويل أن السبب الأول للانحراف هو عدم صلاحية الأنظمة التي تسيطر على العالم

اليوم، وأنه لابد لإنقاذ البشرية من إقامة نظام عالمي جديد، يضمن للإنسانية حقها الأصيل في حياة حرة آمنة.

وإذن فإن الدورة الحضارية لابد أن تأتي على الحضارة الغربية كما أتت على الحضارات السابقة، وما يحاولونه من استثنائها من هذا المصير بدعوى أنها حضارة عالمية الأبعاد مما يجعلها خالدة مستمرة، لن ينقذها من مصيرها، ذلك أن التاريخ شهد أكثر من حضارة عالمية الأبعاد ومع ذلك انهارت في النهاية.

ورب قائل يقول: إذا كانت حتمية اندثار الحضارات قدرًا لا مفر منه، وحقيقة لا يمكن انكارها، فلا عاصم للحضارة الإسلامية، إذا اعتلت القيادة، من السقوط ثانية، ونحن المسلمين نفهم تلك الحتمية وهذه الحقيقة من خلال إيمان لا يرقى إليه الشك في صدق الآية الكريمة ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ الأنبياء: ١٠٥ فإذا فقد المسلمون جدارتهم بقيادة ركب الحضارة فإنها تصير إلى غيرهم، ذلك أن الله عز وجل في الكون سننًا ونواميس لا تحابي أحدًا ولا تجامل مخلوقًا.

المسلمون والبديل الحضاري[٢٦]

وإذا كانت هناك جملة من القرائن تشير إلى سقوط حضارة الغرب وبزوغ فجر حضارة جديدة، يرجى أن يقودها المسلمون، فعلينا أن نتذكر جيدًا أن الله عز وجل لا يؤتي نصره من لم يكن جديرًا به، مسلمًا كان أم غير مسلم، ومن مقتضيات العدل الإلّهي أن تنطبق سننه على الجميع مسلمين وغير مسلمين، ومن هذه السنن أنه لا يفوز إلا من امتلك أدوات الفوز، ولا يسود إلا من حاز شروط السيادة.

ومعنى ذلك أن على المسلمين أن يبذلوا جهدهم ليكونوا جديرين بالاستخلاف والتمكين، وألا يتوهموا أن سقوط حضارة الغرب، سيؤدي بالضرورة إلى قيادتهم لركب الحضارة التي سوف تسقط بين أيديهم غنيمة باردة فتلك أحلام الكسالى والعاطلين والواهمين.

ثم إن الحضارة الغربية بشقيها (الشرقي والغربي) لا تزال تمارس تأثيرًا واضحًا على معظم شعوب الأرض وقد يمتد هذ التأثير إلى أبعد مما نتصوره، ذلك أن سقوط الحضارات وقيامها لا يكون بين يوم وليلة، ولابد من أن نضع عامل الزمن في الحساب.

من جهة أخرى يمكن للدارس أن يذكر أن من أسباب استمرار الحضارة الغربية خلو الساحة من أي بديل حضاري أفضل يمكن أن تؤول إليه قيادة الحضارة. وفي ظل ضعف المسلمين الحالي وشتاتهم يمكن أن يتقدم آخرون لقيادة الحضارة فتنتقل بذلك من يد الغرب إلى يد أخرى، ويظل المسلمون في موقف المتفرج العاجز.

ثم أن هناك كثيرًا من أبناء المسلمين مازالوا — لسبب أو لآخر — مفتونين بحضارة الغرب، ورد هؤلاء إلى الصواب وتبصيرهم بالحقيقة من أهم ما ينبغي على

---

(٢٦) هذه الفقرة مضافة من كتاب د. طه جابر «المسلمون والشهود الحضاري».

المسلمين أن يقوموا به، لأنه واجبهم من ناحية، ولأنه خطوة لابد منها في سعيهم لتولي قيادة الحضارة من جديد.

وبعد: فإن هناك مؤشرات موضوعية متكاثرة، تدل على أن الخط البياني للحضارة الغربية يسير نحو الانحدار، وشواهد كثيرة تدل على أن شمسها تدنو للغروب وأنها فقدت قدرتها على إقناع كثير من أبنائها بجدواها واستمرارها فضلاً عن أبناء الشعوب الأخرى.

وهذا كله يجعل السؤال عن البديل سؤالاً ملحًا ضروريًا ويبدو ـ حتى الآن ـ أن البديل المرشح الأوفر حظًا لقيادة البشرية في دورة حضارية جديدة هم المسلمون. والمأمول ـ بإذن الله ـ أن يؤدي المسلمون المهمة الجليلة التي تنتظرهم وأن يرتفعوا إلى مستواها، وأن يملكوا شروطها الموضوعية.

وبعد، فإن الحديث عن الشروط الموضوعية التي تجعل المسلمين جديرين بأن يكونوا البديل الحضاري إن امتلكوها، أمر يحتاج إلى بحث يكمل هذا البحث ويتممه ونرجو من الله العون على إنجازه. غير أنه لابد من ذكر أهم هذه الشروط الآن بإيجاز شديد حتى لا يظل البحث مبتورًا.

وأهم هذه الشروط

(١) معالجة الأزمة الفكرية التي تأخذ بخناق الأمة منذ فترة طويلة، والخروج برؤية إسلامية صحيحة، ومنهاجية سليمة.

(٢) تصحيح العقيدة بحيث تصبح عقيدة سليمة تشيع في الأمة بقوتها وعمقها ووضوحها وبساطتها وتكاملها، وتخالط بشاشتها القلوب، وتنقي طهارتها العقول، وتهيمن على كل منطلقات الأفراد والجماعات وتدين الأمة بها وتتفاعل معها فتكون على الحق المبين في كل ما تأخذ وتدع، وتفجر طاقات أبنائها في العطاء والإبداع والعمران.

(٣) النظر المنصف الناقد المستفيد المتوازن المميز في التراث الانساني المعاصر، والحضارة الراهنة لمعرفة ما يقبل منها وما يرفض، دون تبعية مطلقة أو رفض مطلق بحيث تتميز ايجابيات هذه الحضارة عن سلبياتها، وخيرها عن شرها ونافعها من ضارها.

(٤) حسن النظر في التراث الإسلامي الهائل، بحيث يتحقق الاعتزاز به والانتفاع منه، دون تقديسه أو المنع من مناقشة أي شيء فيه، فمصادر الإسلام شيء، والتراث الإسلامي شيء آخر، ويحسن بنا الانتفاع من كنوزه الغالية، مع معرفة ما فيه معرفة الناقد البصير.

(٥) العناية بتصحيح مناهج الفكر، وكليات الأمور، والقواعد والضوابط الأساسية بدلاً من ملاحقة الجزئيات المتغيرة باستمرار، ذلك أن الجزئيات لا متناهية، بخلاف المناهج والكليات والقواعد. من هنا وجبت العناية بتصحيحها والتركيز عليها لأنها تصحح حركة العقل وتضبط مسيرته، وتؤصل موازينه، مما يجعل نشاطه في الاتجاه الصحيح، والسلوك فرع عن التصور، والأفكار دائماً هي المقدمة الخاطئة أو الصحيحة لكل شيء آخر.

(٦) ربط هذه المناهج بالواقع الحياتي للأمة المسلمة، فهذا يساعدها على تلمس الحلول من ناحية، ويجعل لها عطاءً عمليًا من ناحية أخرى، فتنجو بذلك من أن تظل الحلول حلولاً نظرية وتهويمات متخيَّلة.

(٧) محاولة بناء مؤسسات إسلامية بديلة في الفكر والاقتصاد والتربية والاجتماع، لأن هذه المؤسسات تأخذ طابعًا عمليًا، ولأنها تسهم في إعادة الأمة إلى الإسلام الذي انسحب من حياتها شيئًا فشيئًا ويمكن أن ترجع إليه شيئًا فشيئًا إن شاء الله تعالى.

(٨) تحقيق تصور حضاري إسلامي يمكن من بناء أمة ومجتمع ودولة حديثة قوية متماسكة قاهرة معطاءة.

(٩) تحويل ذلك كله (العقيدة والفكر والمعرفة والمنهج) إلى نسق ثقافي يمكن تقديمه لكل فصائل الأمة بشكل يحقق قناعتها بذلك وثقتها فيه، وتربيتها عليه.

(١٠) معرفة سنن الله عز وجل ــ في قيام الدول والحضارات وفي انهيارها، وهي

سنن تصدق على المسلم وعلى غيره، والتعامل مع هذه السنن بما يعيد الأمة إلى إسلامها، وبالتالي يجعلها جديرة بأن تكون البديل الحضاري المأمول.

وبهذه المناسبة نؤكد على الشباب المسلم والباحثين المسلمين أن يولوا دراسة سنن الله الكونية في بقاء الأمم وهلاكها ورقيّها وانحطاطها عنايتهم البالغة، فإن هذه السنن قوانين إلهية وإنه لمن المفيد لنا أن تتجه همَّة بعض الباحثين الجادين في قضايا الحضارة لمسح وجمع ودراسة وتحليل الآيات الكريمة المتعلقة بهذا المجال واستخلاص الدروس والعبر والتعرف على الشروط الموضوعية والذاتية، الخارجية وغيرها ليقدموا للأمة من الدروس ماهي بحاجة ماسة إليه.

وللتنبيه على بعض هذه السنن نورد ما يلي من آيات الكتاب الكريم؛ قال تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص: ٨٣.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٩٠.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يوسف: ٨٧.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ الأعراف: ٥٨.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ آل عمران: ١٩٦ــ١٩٨.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ محمد: ١.

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا الفرقان: ٢٣.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۞ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ

الأعراف: ٩٤ــ٩٦.

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فاطر: ٢.

فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ يونس: ٨١ــ٨٢.

وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ البقرة: ١٢٤.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ الرعد: ١٧.

لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ سبأ: ١٥.

إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ آل عمران: ١٦٠.

وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ السجدة: ٢٤.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ الأنفال: ٥٣.

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ق: ٣٦.

أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ الأنعام: ٦.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ الأنعام: ٤٤.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ابراهيم: ٧.

علمًا بأن الكلام عن الأمم والحضارات ورقي الأمم وانحطاطها قد أخذ من آيات القرآن العظيم جانبًا كبيرًا. ولاشك أن الدراسة المتأنية الواعية المستنيرة بنور الله سبحانه وتعالى سوف تقدم للأمة بل للإنسانية كلها دراسات قيمة نافعة هادفة في هذا المجال ما أحوج الناس إلى فهمها واستيعابها لإنقاذ الأمة والإنسانية التي تقف على شفا الهاوية.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

في شمال أمريكا:

المكتب العربي المتحد

United Arab Bureau
P.O. Box 4059
Alexandria, VA 22303, U.S.A.
Tel: (703) 329-6333
Fax: (703) 329-8052

خدمات الكتاب الإسلامي

Islamic Book Service
10900 W. Washington St
Indianapolis, IN 46231 U.S.A.
Tel: (317) 839-9248
Fax: (317) 839-2511

في أوربا:

المؤسسة الإسلامية

The Islamic Foundation
Markfield Da'wah Centre, Ruby Lane
Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244–944 / 45
Fax: (44-530) 244-946

خدمات الاعلام الإسلامي

Muslim Information Services
233 Seven Sister Rd.
London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170
Fax: (44-71) 272-3214

المملكة العربية السعودية:

الدار العالمية للكتاب الاسلامي
ص. ب. ٥٥١٩٥ الرياض ١١٥٣٤
تليفون 1-465-0818 (966)
فاكس 1-463-3489 (966)

مصر:

المعهد العالمي للفكر الاسلامي
٢٦ ـ ب شارع الجزيرة الوسطى
الزمالك ـ القاهرة
تليفون 340-9520 (202)
فاكس 340-9520 (202)

الأردن:

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
ص. ب ٩٤٨٩
عمان ـ المملكة الأردنية
تليفون 962-6-639992
الفاكس 962-6-611420

المغرب:

دار الأمان للنشر والتوزيع
4، زنقة المامونية
الرباط ـ المغرب
تليفون 723276 (212-7)

لبنان:

المكتب العربي المتحد
ص.ب 135888 بيروت
تيلفون 807779
تيلكس 21665LE

الهند:

Genuine Publications & Media (Pvt.) Ltd.
Vateg Building, Nizamuddin West
New Delhi–100 013
Tel: (91-11) 684-7575
(91-11) 684-6256

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

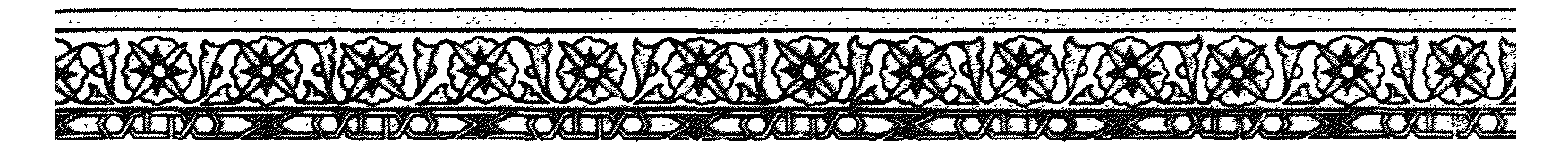
- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيَّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميَّة والفكريَّة المتخصّصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميَّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية والإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف انحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH



هذا الكتاب

هو تذكرة للأمة الإسلامية بأن تنتبه إلى الدورات الحضارية التي سنها الله على هذه المعمورة، وأن تتأهب لتقوم بواجبها كوريثة للحضارة الغربية المتآكلة، وأن هذا التأهب يستتبع بذل الجهد بالضرورة إلى قيادتهم لركب الحضارة، دون أن يكونوا مؤهلين تأهيلاً كاملاً للتمكين في الأرض.

لقد تناول الكتاب بالتحليل ظاهرة الأفول الحضاري الغربي، وما صاحبها من صيحات الخطر الصادرة من أبنائها ومفكريها، وضرب أمثلة تدلل على مقولته، منها ظاهرة الانتحار في الغرب، ثم تعرض للمحاولات القاصرة لتشخيص الداء والبحث عن الدواء، ثم تساءل عن البديل، وقدم رؤيته للشروط التي تؤهل الأمة الإسلامية لأن تكون هي البديل الحضاري المرتقب، مدللاً بشواهد من القرآن الكريم على ما يسوقه من سنن ونواميس للكون وللأنفس على السواء.

